# بؤرة أمل بين عتمة الأيام

محمد شاهين

## مقدمة

**في الحقيقة، لا أعرف من أين أبدأ، لأنني، ولوهلة، شعرت أن قلمي يعجز عن كتابة الأفكار التي تدور في ذهني، وفي وصف فترة زمنية امتدت لأكثر من سبعة شهور، لأضعها في بضع صفحات. غمرتني السعادة عندما بلغت بأني سأكون أحد أعضاء فريق البحث، لكن في الوقت نفسه كنت متخوفاً؛ كونها التجربة الأولى لي في عمل بحثي يهدف إلى المساهمة في عمل تغيير ما، ربما ينتظره مجتمع المعلمين والمعلمات، فهو حتماً مسؤولية كبيرة يقع على عاتقي القيام بها.**

**كنت أتصور في البداية أن البحث عملية جمع بيانات تؤدي إلى استنتاج منطقي يعمم. بعد عملية الانخراط في العمل تساءلت: هل باستطاعتي القيام بجمع البيانات المطلوبة والخروج منها بنتائج بحثية مفيدة؟ هل باستطاعتي إظهار النتائج مهما كانت؟ متى سأتوقف وأكتفي بما جمعته من بيانات؟ كيف أحلل هذا الكم من البيانات؟ كيف سيكون أثر البحث عليّ وعلى المجتمع التربوي؟ هل أستطيع أن أكون موضوعياً في عملية التحليل كوني معلماً وباحثاً في الآن نفسه؟**

**كل هذه التساؤلات وضعتني في حيرة وقلق، كلما تعمقت في تحليل البيانات.**

تم اختيار المدرسة موقع البحث، وعلى الفور أجريت لقاءً مبسطاً مع مديرة المدرسة لكي أقوم بشرح طبيعة هذا المشروع، لكنّي فوجئت بالمديرة تقول:

«أستاذ محمد، بما أن المشروع سوف يعود بالنفع على العملية التعليمية لن أسألك عن التفاصيل، وأنا ومدرستي ومعلماتي وطالباتي سوف نكون في خدمة هذا المشروع، وسوف أعمل على تسهيل جميع الأمور التي تحتاج إليها».

شعرت بالتفاؤل من كلام المديرة، وكان دافعاً كبيراً لأكمل طريقي في هذا المشروع. هذا الترحيب لم يكن من فراغ، فهي على دراية بأن هذا المشروع مغطى بكتاب من قبل الوزارة. لكن ربما كان السبب في الترحيب بي داخل مدرستها هو معرفتها بي كمعلم رياضيات للمرحلة الثانوية، ومكانتي الجيدة بين الناس وأوساط المعلمين

والطلبة، ومساهماتي التربوية والثقافية في تأسيس منتدى معلمي دورا، وعملي مع المعلمين والمعلمات فترة طويلة عبر المنتدى بهدف التطوير والتغيير.

وربما التاريخ الذي أحمله معي خلال البحث ساعد في تقبلي، فمن ضمن عملي معلماً للرياضيات استطعت بناء شبكة من العلاقات بيني وبين كثير من المثقفين. ضمن هذا السياق، تولدت عندي نجاحات كبيرة داخل المدرسة، حيث حصلت على كتاب شكر من وزير التربية والتعليم تقديراً لعطائي. أيضاً منسق نشاطات منتدى دورا لفترة طويلة، وعلاقاتي الطيبة مع المجتمع الذي أعيش، كل هذا ربما أثر على المعرفة والممارسة بشكل إيجابي خلال البحث.

## إزاحة نحو الذات

بناء الذات أمر يحتاج إلى التعب، وقصص النجاح التي هي إرث حققته من خلال عملي في المنتدى ومع مؤسسات تربوية أخرى، ولّدت لدي الحافز في أن أسعى إلى تطوير نفسي ومتابعة كل جديد، والإصرار على متابعة العمل نحو التغيير على الرغم من الصراعات ومحاولة العرقلة من قبل المنافسين.

أجمل منظر يشدني وأشعر من خلاله بالأمل والحب ذلك المشهد الذي أرى فيه الأطفال يحملون حقائبهم ويذهبون إلى مدارسهم طالبين المعرفة والثقافة، لكن هذا المشهد ممزوج بالأسى، وبخاصة وأنا أشاهد تلك الدلائل التي تؤشر على قدوم الطالب إلى المدرسة مكرهاً ... عندما يشرح المعلم والطالب صامت ... عندما يغيّب داخل الحصة ولا يكون له دور ... عندما تدفن طاقته وإبداعاته ومهارته ... عندما يقرع الجرس عند نهاية الدوام ويخرج الأطفال مسرعين وكأنهم هاربون من شيء مخيف.

في أثناء مشاهداتي الصفية المختلفة، لا أستطيع أن أصف المشاهدة الصفية بالجيدة أو السيئة، إنما أريد أن أسميها حصة مناسبة وغير مناسبة، فمعايير الحصة الجيدة التي بنيتها من خلال معتقداتي وخبرتي الطويلة في التعليم هي تلك التي تولّد تعليماً جيداً يهدف إلى جعل الطالب محور العملية التعليمية، وأن ينظر إليه كإنسان له كينونته وعالمه المبدع، فكل معلم له معاييره الخاصة وفق سياقه ومعرفته بالطلبة، وهي نتاج الخبرة.

أما معايير الحصة غير المناسبة التي يرتهن فيها المعلم/ة إلى الأسلوب التلقيني التقليدي، مهمّشاً دور الطلاب، واضعاً بين عينيه إنهاء الخطة والأعمال الكتابية التي ربما جهزت لكي يرضي بها المشرف التربوي. كلا النوعين من الحصص متوافر، والأغلبية العظمى من المعلمين/ات يخلطون بين النوعين، محاولين الوصول إلى مواءمة واقعهم مع المتطلبات المطلوبة منهم وظروفهم المهنية.

## خروجي من مدرستي معلماً ودخولي عينة الدراسة باحثاً

خلال فترة الأشهر التي عملت بها في البحث، كنت أنهي الحصص المقررة وفق برنامج التعويض الذي وضع بالتوافق مع مدير المدرسة التي أعمل فيها دون أي تقصير، وأنتقل بسيارتي الخاصة إلى المدرسة عينة الدراسة لأصل قبل الموعد المحدد بثلث ساعة تقريباً، ولحظة وصولي ساحة المدرسة الجميع ينظر إليّ نظرة تساؤل: ما الذي أتى به إلينا؟ فهناك نظرة فرح من المديرة لأنني أرصد واقع مدرستها، ولها الفخر بأن مدرستها اختيرت ضمن هذا المشروع، وترى في ذلك مصلحة عامة، وتفضل أن تكون مدرستها بصمة واضحة في هذا المشروع. تحاول أن تظهر لي أن الأمور تجري على ما يرام، وأن الوضع على الرغم من كل الظروف أفضل من المدارس المجاورة، وهناك نظرات التخوف والحرج من البعض الآخر من إجراءات ومتطلبات البحث، وبخاصة في الأيام الأولى.

طلبت من المديرة في الأيام الأولى من البحث حضور فعاليات الطابور الصباحي فوافقت، وفعلاً حضرت. كانت ابتسامات الطالبات في ذلك اليوم متناثرة على وجوهن، لا أعرف هل لوجودي أم لأنهن يتوقعن إضراباً هذا اليوم (إضراب من اتحاد المعلمين احتجاجاً على تدني نسبة الرواتب) حيث سمعت بعضهن يتحدثن عن ذلك.

كان طابوراً صباحياً مميزاً بدءاً بقراءة الفاتحة ... يأتي دور رفع العلم من قبل الكشافة، ونشدت الطالبات السلام الوطني، وموضوع الإذاعة الصباحية عن القدس والمخاطر التي تتعرض إليها المدينة المقدسة، قدمت طالبات الصف العاشر فقرات متنوعة تخلل ذلك: إلقاء قصيدة (حب الأقصى)، مقطع مسرحي لمجموعة طالبات بالزي التراثي. وفي الختام، شكرت المديرة الطالبات، وقدمت لهن كأس الإذاعة المدرسية للتميز في هذا الأسبوع.

## أعطتني المديرة المجال لأعرّف بنفسي وسبب وجودي في المدرسة.

أعلم جيداً أن قرع الجرس يعني أن المعلم/ة يجب أن يذهب إلى حصته، لكن فضلت أن أرجع إلى غرفة المديرة، وأرى ما ستقوم به المديرة، فوجئت بمعلمة العلوم تأتي ومعها وسائل وتقول لي: «تفضل أستاذ محمد، احضر عندي حصة على الصف السابع»، هنا ارتاح ضميري ولسان الحال يخاطبني أن الأمور سوف تسير على ما يرام، ووجودي وعدمه لا يعني تغييراً في مجريات الأمور. الأمور تسير بشكل طبيعي ربما لهذا اليوم.

دخلت إلى الحصة وفي ذهني تساؤلات كثيرة. ما هو الشيء الذي أريد أن أرصده في الحصة الصفية؟

كنت أحاول قدر الإمكان أن لا تتحكم بي مشاعر الزمالة كوني معلماً، وكنت أحاول قدر المستطاع مشاهدة ما يحدث وتسجيل الملاحظات دون تدخلات مني على الرغم من صعوبة الأمر، ولكي أخرج من مأزق الذاتانية، طلبت من المديرة حضور بعض المشاهدات معي، وتسجيل ملاحظاتها على الحصة، وبعدها كنت أتناقش أنا والمديرة في الملاحظات، لأجد أن معظم الملاحظات مشتركة. كما ساعدتني اللقاءات المتتالية مع أعضاء فريق البحث وعرض مجريات العمل من جمع بيانات وتحليل وتأويل، ساعدني كثيراً للوصول إلى نوع من تأويل جماعي. فمثلاً، عندما عرضنا حصة صفية على مجموعة الباحثين الزملاء، أذكر قضية طالبتين توأم في أحد الصفوف لديهن تحديات تعلم صعبة (ربما صعوبات خلقية)، حيث لاحظنا إهمال المعلمة لهن في جوانب كثيرة، ما أثار نوعاً من النقاش حول مدى جدوى وجودهما في الصف، ومدى جدوى التعليم المدمج (دمج ذوي تحديات التعلم في الصف) مع وجود معلم غير قادر على التعامل مع صعوبات كهذه. وكنت في حينها منحازاً لفكرة أن وجودهما في الصف أفضل من عدمه، حتى لو لم تلقَ الطالبتان اهتماماً، لكن النقاش زعزع فيّ هذا المعتقد، وربما لو توفرت البيئة والسياق والخبرة، لكان حظ الفتاتين أفضل من ذلك. ورجعت إلى المدرسة للبحث أكثر في هذا الموضوع لمجرد المعرفة، والتأكد من وضعهما، حيث أجريت لقاءً مع المعلمة ومسؤولة الصحة المدرسية والمديرة في هذا الصدد حتى أستوضح الأمور. ربما يكون هذا مثالاً من أمثلة عديدة يظهر أهمية عرض النتائج ومناقشتها ومحاورتها جماعياً وذاتياً، فقد أتقبل الممارسات واعتبرها عادية لأنها في ذهني مسلمات، لكن النقاش فيها يخضعها للتشكيك والبحث.

## نقطة حرجة

كون لدينا حالتين (معلم وباحث) في توازن، وينظر إليّ كأنني مشرف يريد ان يقيّم الحصة، دون أن يشعر الجميع بالإحساس الغريب الذي يسيطر على وجداني، حتى شعرت أنني مقيّد ببعض الإجراءات التي تخص الهدف من الزيارة ومتفاجئ من شعوري لحظة، على اعتبار أنني مشرف امتلك السلطة، متخوفاً من إصدار الحكم على الحصة وعدم رصد الواقع بمصداقية حتى نصل إلى النقطة الحرجة (critical point)، وعندها ترجع بي الذكريات ويعرض شريط لحياتي السابقة أمام ناظري عندما كنت طالباً، والآن معلماً. استرجعت إحساس الطالب عندما يدخل المعلم برفقته ضيف نكتشف أنه المفتش فينتابنا الخوف، لأننا إذا ما أخفقنا في الحصة سوف نتلقى العقاب. ولا أخفي شعوري كمعلم أثناء حضور المشرف حصة عندي في مادة الرياضيات.

كيف أستطيع أن أجلس في الخلف وأرصد الواقع وأضبط نفسي من إطلاق الأحكام، أو حتى الامتناع عن تقديم التغذية الراجعة للمعلم الذي يسأل عنها بعد انتهاء حصته، وبخاصة إذا كانت الحصة حصة رياضيات.

من الأنشطة التي تم تنفيذها في إطار بحث «صنع المعاني في المدارس الفلسطينية».

هذا الأمر تحدٍّ كبير بالنسبة لي.

عندما كنت أدخل الحصص، كانت المعلمة وطالباتها يرحبن بي ويحضرن الكرسي لأجلس، شعرت بأني أمتلك سلطة قوية، وكان ذلك رغماً عني، سلطة تفرض نفسها بحكم التاريخ والسياق والموقع. شعرت حينها بالسلطة التي يمتلكها الموجه، ولو للحظة عندما يدخل واثقاً من نفسه مستعداً ليحكم على أداء المعلم والطالب، ويقيّم الحصة، وكم يمتلك من السلطة في تنفيذ قراراته. كانت هذه النقطة الحرجة تتكرر في كل لحظة. ولو لم ينظر لي كموجه، فأنا أعلنت أني باحث، ولا أعرف ما أثر ذلك على المعلمات والطالبات. ما مفهوم الباحث لديهن؟ وماذا يتوقعون دوري؟ وهل أنا مصدر سلطة بالنسبة لهن؟ والأهم من ذلك، هل أثّر وجودي كباحث على ممارساتهن داخل الصف؟ أسئلة صعبة بحاجة إلى تأمل.

## علامات، مصطلحات المهنة

أريد تسليط الضوء على بعض المصطلحات والعلامات المهنية المتداولة:

### ختم الكرت

هذا ما يتردد على ألسنة بعض المشرفين والمديرين عندما يقومون بالزيارات الإشرافية، حيث يتحدثون عن ختم الكرت مرتين وثلاث مرات، يعني «قيام مشرف أو مدير بزيارة معلمين أو ثلاثة معلمين في اليوم نفسه».

ربما ختم الكرت بالنسبة للمشرف هي زيارة تقييم، فالمشرف له الحق بزيارتي في أي وقت من السنة أثناء عملية التدريس. في أثناء مقابلتي مع المشرف التربوي، سألته كيف ترى دورك تجاه المعلم؟ أجاب قائلاً: «الأصل أن آخذ دوران كمشرف تربوي، الدور الأول: هو دور الداعم وهو الأول والأساس للمعلم، وبالتالي هذا يصير له تفرعات ما دمت داعماً فأنا مسؤول عن تدريب المعلم وتطوير قدراته وحل مشاكله. أما الدور الثاني، فهو دور تقييمي، ويقع على عاتقي تقييم أداء المعلم، إما من خلال الحصة الصفية وإما التقييم النهائي وما يترتب عليه من مكافآت معنوية للمعلم». وعندما سألته ماذا تتوقع من المعلم في إطار مهنتك؟ أجاب قائلاً: «في إطار مهنتي كمشرف تربوي أتوقع أن هذا المعلم يطلب المساعدة دائماً، ويستوعب طريقة التقييم التي أقيّمه بها، ويحاول أن يستفيد من الخبرات التي أنقلها إليه، لأن أكثر شيء أفعله في الإشراف التربوي المفروض (ناقل خبرات) وهو أكثر من أن أرقب موقف تعليمي وأغادر».

لكن مفهومي لختم الكرت يختلف عن المشرف، فأنا أحكم على زيارته بمدى الفائدة التي قدمها لي، ماذا أفادني؟ وكيف عزز الممارسات الإيجابية لدي؟ وكيف صارحني في حصتي، وعرض نتائجي لكي أطور من ذاتي، لا أن يتكتم على التقارير التقيمية الخاصة بي. لكنني أفهم أيضاً أن المشرف يواجه تحديات عديدة تماماً مثل المعلم. منها المادية والمعنوية. مثلاً، عندما سألته عن مدى رضاه المهني أجاب قائلاً: «... ما في عندنا نمط إشراف ثابت بنشتغل عليه. كل سنة في تغيير في أسلوب الإشراف، وإللي مزعجني إنو التغيير بكون غير مدروس، مش بناءً على منهجية بحثية ودراسات بتصير ... بظل إشرافنا على رمال غير ثابتة متحركة. كل سنة أو ثنتين بتغير نمط الإشراف».

### بدون الخط الأحمر

الخط الأحمر له مفهوم آخر لدى المعلم، فهو الخط الذي يضعه المدير في حدود الساعة الثامنة إلا ثلث من كل صباح على سجل الحضور والمغادرة اليومية للمعلمين، وأي معلم يضع اسمه خلف هذا الخط يعتبر مخالفاً للنظام، وهنا يعني الخط الفاصل بين التزام القوانين وعدمها.

معظم المديرين يتقيدون بالخط الأحمر باعتباره معياراً للنجاح، لكن هذا الكلام ليس مطلقاً، فهناك مديرون لا يتقيدون بحرفية الخطوط الحمر ويحظون باحترام من قبل المعلمين والمسؤولين على حد سواء.

أثناء مقابلتي للمديرة عينة الدراسة طلبت منها أن تصف لي يوماً من أيام عملها، فقالت: «بحب أكون القدوة للمعلمات، وبحب أن يفهمني طاقم المعلمات ليس بالكلام، إنما بالعمل، أقسم بالله عمري ما قلت لمعلمة ليش اتأخرتي أو ليش مناوبتكي سيئة. بفهموني ... بتصدف تيجي معلمة متاخرة بس تفوت على المدرسة بتطلّع عليّ وبتضحك وبتقول السيارة خربت، ابني كان مريض وتعتذر، علماً بأنني لم أطلب منها».

وعندما سألت إحدى المعلمات ماذا يعني لك الخط الأحمر؟ أجابت: «في المدرسة السابقة قبل انتقالي إلى هذه المدرسة حصل معي موقف. أنا ما بحب أجد نفسي تحت الخط الأحمر رغم كل المتطلبات المهنية والمسؤوليات البيتية، وأحاول أن أكون في المدرسة 7:30. في يوم حصل معي وتأخرت مرة بسبب حاجز للجيش الإسرائيلي، فوضعت المديرة اسمي تحت الخط الأحمر، هذا الشيء أثر في نفسي رغم انه ليس ذنبي، لكن بعد فترة زمنية تأخرت المديرة فقمت بوضع الخط الأحمر، عندها أيقنت المديرة أن للخط الأحمر وقعه النفسي على المعلم».

أثناء خبرتي في التربية والتعليم عاصرت 6 مديرين لكل واحد منهم أسلوبه الخاص فيما يتعلق بالخطوط الحمر التي تعتبر بمثابة أداة للثواب والعقاب بالنسبة لهم، فلا أبالغ إن قلت إن المديرين الذين

كانوا ناجحين في عملهم هم من يتعاملون مع المعلمين على أساس مهني صادق وبدون خط أحمر.

المديرة في عينة الدراسة، تحاول أن توفر لمعلماتها الوسائل الممكنة لسير العملية التعليمية، ولا تتعامل مع المعلمات بحذافير الأمور، لذا تنال احترام جميع المعلمات، وهذا واضح من خلال مقابلاتي للطالبات وللمعلمات، وهي دائماً تلتمس العذر لمعلماتها.

## النشاطات اللاصفية

ضمن مقارباتي البحثية والتحليلية أريد أن أتطرق إلى موضوع النشاطات اللاصفية (Extra-Curricular Activities) التي تمتاز بها المدرسة التي عملت البحث فيها. قد يرى الكثير من المعلمين أن هذه النشاطات مضيعة للوقت، وإذا ما طبق جزء منها، فإن المقررات لا تكتمل في حين يرى البعض الآخر أن هذه النشاطات تحمل معاني ومضامين وأهدافاً تربوية واجتماعية قيّمة، تساهم في صقل شخصية الطالب، وتنمي قدراته الذاتية في الكثير من المجالات.

وعندما طرحت هذا السؤال على منسقة النشاطات في المدرسة ماذا تعني لها النشاطات اللاصفية؟ وما هي انجازات مدرستكم في هذا الصدد؟ أجابت: «نشاطات تقوم بها الطالبات خارج إطار المنهاج وفي بعض الأحيان تكون وسيلة لخدمة المنهاج من خلالها تفريغ الطالبات عمّا في دواخلهن من طاقات ومواهب، ويتم إشراك جميع الطالبات، وبخاصة ذوات التحصيل المتدني، فهي متنفس للطالبات للخروج من قهر روتين التعليم، لكنها عبء على المعلم المسؤول فلا يوجد تفريغ من الوزارة لمنسق النشاطات، ولا توجد حصة نشاط مفتوح لتلك النشاطات».

أما عن مشاركات المدرسة لمثل هذه الأنشطة، فقد تحدثت المعلمة عن النشاطات اللاصفية التالية (على مستوى الوزارة والمديرية)، قالت المعلمة:

«شاركنا في مسابقة تطريز أجمل لوحة إرشادية، وفزنا بالمركز الأول، وفي الدبكة الشعبية وفزنا فيها بالمركز الأول، وفي مسابقة الكورال (الأغنية الجماعية)، شاركنا في مسابقات الشعر (إلقاء الشعر)، الغناء الكشفي الإرشادي، الصيحات الكشفية، الغناء الفردي، وفزنا في جميع هذه المسابقات بالمركز الثاني».

أثناء وجودي في المدرسة، شاهدت العديد من النشاطات اللاصفية، منها:

- رحلة جبلية وزيارة للبيوت البلاستيكية للطالبات من الصف الخامس حتى الصف العاشر مصطحبات معهن غذاء طبيعياً غير مصنّع، والهدف تعليمي وترفيهي.
- فعاليات الطابور الصباحي وما يتخلله من فقرات جميلة ومتنوعة.
- اليوم المفتوح اشتمل على معرض تراثي، ومعرض للتدبير المنزلي من نتاج الطالبات، بالإضافة إلى وسائل من إبداع الطالبات وفقرات ترفيهية جميلة.
- لاحظت إشراك الطالبات ذوات التحديات التعليمية في هذا اليوم، ضمن فعالية سباق جمع البالونات من منطقة لأخرى وسط تعليمات هادفة. وعند سؤالي منسقة النشاطات عن هذا النشاط، قالت: «عملنا هذه الفقرة وفقرة العرس الفلسطيني ودمجنا الطالبات ذوات التحصيل المتدني في الفقرات ليدركن أن لهن دوراً في هذا اليوم الخاص بجميع الطالبات».
- الرحلة المدرسية، حيث أشركت المديرة بعض الطالبات الراغبات في الرحلة، ووضعهن الاقتصادي لا يسمح بذلك.
- مشاركة الطالبات في مسابقات في الأنشطة اللاصفية على مستوى المديرية، وحصدت العديد من شهادات التقدير.
- تحفيز الطالبات المتميزات في الأنشطة اللاصفية وتكريمهن من قبل الإدارة في المناسبات والحفلات الدينية والوطنية.
- قيام الطالبات بمشاركة المجتمع المحلي في بعض المناسبات الخاصة من خلال تقديم عروض متنوعة مثل الدبكة الشعبية، والغناء الجماعي.
- عمل مجلات حائط دورية فصلية تحوي مواضيع ثقافية متنوعة، كذلك قيام الطالبات بعمل أبحاث في الصحة واللغة العربية، واللغة الانجليزية.

من الأنشطة التي تم تنفيذها في إطار بحث «صنع المعاني في المدارس الفلسطينية».

التقيت ببعض الأمهات في اليوم المفتوح وسألتهن عن رأيهن في الأنشطة وفي المعارض.

تحدثت هـ. ش قائلة: «أنا حريصة اليوم إني أشارك البنات من الصبح رغم إنه ما في إلي بنات في المدرسة علشان أطلّع على شغل البنات وأبارك الهم هاليوم، وبدي أتبرع مبلغ 100 شيكل للمدرسة».

أثناء مقابلاتي مع الطالبات سألت: ما هو السبب الحقيقي وراء حب النشاطات اللاصفية خاصة اليوم المفتوح والرحلات؟

الطالبة س: «المدرسة كلها واجبات ودراسة، فهذا اليوم البنات متشوقات إله أكثر من أي يوم ثاني، لأنه بنشوف بعضنا فيه بغير إلي بنشوفه في الأيام العادية حصة بعد حصة وهيك، البنات بشوفن انو هذا الجو غير عن جو المدرسة نهائياً، بعدين بنطلّع مهاراتنا (مثلاً التمثيل هوايتي) فبكون أستنى في هذا اليوم، أو لّما يكون مسابقة خارج المدرسة بنصير نمثّل فيها أو نسّوي نشاطاتنا إللي بدنا إياه».

الطالبة ج: «أنا بحب في المدرسة إنو يكون أكثر من حفلة، دايماً في يوم مفتوح واحد في السنة، لازم يكون في حفلات نمثّل ونسّوي إلي بدنا إياه».

الطالب ش: «أتمنى إنو لو يزيدوا إلنا النشاطات نطلع نسابق في مسابقات شعرية. أحلى شيء انو نيجي مع بعض نعمل مسرحيات، أو نطلع دبكة، أو نلقي قصائد في الأدب العربي هذا اشي حلو».

الطالبات يعتبرن اليوم المفتوح متنفساً للتعبير عن مواهبهن، وكذلك تحرر من قيود الروتين اليومي أثناء الدراسة، ففي هذا اليوم لهن الحرية الكاملة في إظهار مواهبهن وإبداعاتهن.

السؤال الذي يخطر في بالي هنا: هل هي نشاطات لا صفية أم لا منهجية؟ من الواضح أن معظم النشاطات السابقة هي نشاطات لا صفية، بمعنى نشاطات ترفيهية وتعليمية وأهدافها واضحة. تخفف عن الطالبات أعباء الدراسة، في الوقت نفسه تشكل عبئاً على المعلم لأنها مطلوبة منه، وإذا لم تكن مفروضة فربما لا ينجحونها. متى تكون هذه النشاطات اللاصفية تعليمية؟

لقد وضعت هذا الشكل لكي أستطيع فهم هذه المسألة بشكل أكبر:

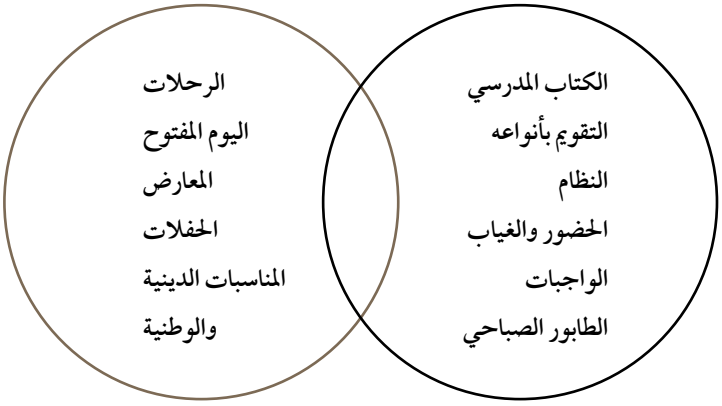


إذا اضيقت منطقة التقاطع، فإن ذلك يعني أن هنالك خطراً ما في هذا النظام التعليمي، حيث أنه يقزم المتعلم، فلا ينظر إلا إلى جانب واحد وهو قدرته على الحفظ والتذكر، أو بمعنى آخر «الصم». وهذا النظام يلقي بظلاله القاتمة على هذا المتعلم، فيهمش كل مواهبه الأخرى، ويختصر قدراته واستعداداته في بذل أقصى الجهود وأضناها لتخزين أكبر كمية من المعلومات لتفريغها على ورقة الامتحان النهائي التي ستكون الشاهد الوحيد على مدى «نجاحه».

ولكن إذا ما اتسعت منطقة التقاطع، يعني أن النشاطات اللاصفية هي جزء من المنهاج يتعلم خلالها الطلبة المعارف والمهارات في سياقات متنوعة وذات معنى، وفي الوقت نفسه، يقيم الطلبة على إنجازاتهم تماماً كما يقيّمون في الامتحانات، ويمكن أن تزداد منطقة التقاطع إلى حد تكون فيه الخبرة، والنشاطات والرحلات والأيام الدراسية والمعارض هي المنهاج، وليس الكتاب المدرسي فحسب. عندها أستطيع أن أرى الطلبة يأتون إلى المدرسة بلهفة وشوق وعمق، وبذلك يكون مهماً للطالب الاشتراك والتعبير والحرية، ويصبح لليوم الدراسي له معنى. عندها يكون هناك نظام قائم على إبراز الموهبة لا قتلها، نظام فعال بما تعنيه الكلمة من معنى.

باعتقادي أن ما يجعل المنطقة تضيق هو الإجراءات والقوانين

والاختبارات وأسلوب التلقين، وتتوسع الدائرة إذا امتلك الطالب حرية التعبير عن رأيه، يحاور، يناقش، يعبر عن مواهبه، يستنتج المعلومة ويبني المعرفة بنفسه، هنا يصبح الإقبال على التعلم، ويصبح الانتماء للمدرسة والتعاون مع الأهالي.

عودة إلى المدرسة، وبناء على النموذج المرسوم، أستطيع أن أرى مناطق تقاطع عديدة حصلت في عملية التعليم مثل:

» التطبيق العملي لمادتي الفن والاقتصاد المنزلي وعرض إنتاجات الطالبات في اليوم المفتوح (لمعظم الصفوف).
» خلال رحلة علمية لـ(مصنع زجاج، البريد، البنك، مركز الإحصاء الفلسطيني في رام الله، مبنى الإذاعة والتلفزيون) تحققت أهداف منهجية تكمن في آلية صنع الزجاج – للصف الثامن مادة العلوم، كذلك عمل البريد في مدينة الخليل –مادة الاقتصاد الصف التاسع، ترددات الصوت والتقاط الصورة وعملية البث –في مادة التكنولوجيا، وعمل البنوك من خلال زيارة للبنك –مادة الإحصاء في الرياضيات للصف العاشر، عدا عن ذلك الأهداف التاريخية والجغرافية في رحلة المسير من الخليل إلى رام الله.
» رحلة جبلية نشاط لطالبات الصف الخامس. الذهاب إلى البيوت البلاستيكية والاطلاع على أنواع الزهور والتعرف على البيئة.

وعندما سألت إحدى المعلمات عن هذا النموذج وماذا يعني لها، قالت: «ممكن أن أجعل النسبة (نسبة التقاطع) 100% بشرط أن تعطيني الحرية في التدريس، ويكون المنهاج هو إحدى الوسائل...، باختصار سأتحوّل من اسكتي إلى عبّري، ومن ادرسي إلى ابحثي، ومن احفظي إلى حللي، ومن اسمعي إلى طبقي».

أثناء مقابلتي مع الطالبات قالت الطالبة ك: «النشاطات التي نعملها داخل المدرسة أو خارجها بمثابة الأمل بين عتمة الأيام».

لنتأمل كلمات الطالبة والمعلمة جيداً، لندرك ضرورة النشاطات اللاصفية التعليمية الدائمة.

**محمد شاهين**
**مدرسة ذكور الصرة الثانوية – الخليل**

من الأنشطة التي تم تنفيذها في إطار بحث «صنع المعاني في المدارس الفلسطينية».